(٣٧٦)

(القاسِمُ بن يَحْيَى الخَوْلَاني)

ثم الصَّنعاني شيخنا العلَّامة الأكبر. ولد في شهر رمضان سنة ١١٦٢ اثنتين وستين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء فأخذ عن جماعة من أكابر علمائها منهم العلَّامة أحمد بن صَالح بن أبي الرّجال، وشيخنا العلَّامة السيد عبد القادر بن أحمد، وشيخنا العلَّامة الحَسَن بن إسماعيل المغربي، والخطيب العلَّامة لُطف الباري بن أحمد الوَرْد، وغير هؤلاء. وبرع في جميع العلوم، وفاق الأقران، وانتفع به الطلبة في جميع الفنون، وأخذت عنه في أوائل الطلب، ولازمته وانتفعت به، فقرأت عليه الكافية في النحو وشرحها للسيد المفتي جميعاً، وشرحها للخبيصي جميعاً، وحواشيها وشرح الرضى إلّا شيئاً يسيراً من أواخره، والشافية في الصرف وشرحها للشيخ لطف اللَّه جميعاً، والتهذيب للسعد في المنطق وشرحه للشيرازي جميعاً، وشرحه للبزدي جميعاً، وتلخيص المفتاح وشرحه المختصر للسعد وحاشيته للطف اللَّه جميعاً، وفي الأصول غاية السؤل وشرحها وحاشيتها إلّا فَوْتاً يسيراً، والرسالة العضدية في آداب البحث وشرحها لِملَّا حنفي وما عليها من الحواشي. وفي علم الاصطلاح النخبة لابن حَجَر وشرحها له جميعاً، وفي شروح الحديث بعض شرح العمدة لابن دقيق العيد، ولَعلِّي سمعت منه غير ما تقدم. كان رحمه اللَّه يطارحني في البحث مطارحة المستفيد تواضعاً منه. ثم ترافقنا في الطلب على شيخنا السيد العلَّامة عبد القادر بن أحمد، وعلى شيخنا العلَّامة الحَسَن بن إسماعيل المغربي، وجرت بيني وبينه مباحثات في مسائل يشتمل عليها رسائل ولم تر عيناي مثله في التواضع وعدم التلفُّت إلى مناصب الدنيا مع قلة ذات يده وكثرة مكارمه. وله في الزهد طريقة لا يلحقه فيها غيره بحيث كان يكتفي بما يحصل له من أجرة تلاوة القرآن، وما يحصل له من أجرة ما ينسخه بخطه الحسن. وله من قوة الفهم وسرعة الإدراك وحلّ الدقائق ما يبهر من عرفه. ولو طال عمره وأقبل على التصنيف لجاء بالعجاب. (ومات) رحمه اللَّه في اليوم الثاني من شهر شوّال سنة ١٢٠٩ تسعٍ ومائتين وألف.

(٣٧٧)

(السلطان قَانْصُوه سُلطان مِصْر)[١]

كان في أوائل الأمر أحد مماليك السلطان قايتباي، وكان أُمِّيّاً لا يعرف شَيْئاً لأنه جلب من بلاده وهو كبير قد شرع فيه الشيب، وصار السلطان قايتباي يرقيه لكونه أخاً

(١) ترجمته في: الأعلام: ٥/ ١٨٧.

لزوجته، وهي التي بذلت الأموال للجند، ومكّنته من الخزائن حتى ملّكوه بعد السلطان قايتباي، فاستمر سلطاناً سنة وسبعة أشهر، ثم خلعوه، وكان قد تلقّب بالأشرف، وأخرجوه من المملكة سنة (٩٠٥) وولي بعده أميران، ولم يثبت قدمهما في السلطنة. ثم أجمع الأجناد على تولية السلطان قانصوه الغوري، وهو غير المتقدم ذكره. وكان من أصغر الأمراء وأحقرهم، ولكن الأمراء الكبار تحاموا الإقدام على السلطنة خوفاً من بعضهم البعض، فولّوا هذا فقبل بعد أن شرط عليهم أنهم لا يقتلونه إذا أرادوا خلعه، فقبلوا منه ذلك، فولي السلطنة في سنة (٩٠٦) وكان عظيم الدهاء قوي التدبير فثبت قدمه في السلطنة ثباتاً عظيماً، وما زال يقتل أكابر الأمراء حتى أفناهم وصفت له المملكة، ولم يبق له فيها منازع، ولكنه مال إلى الظلم والعسف وانتهب أموال الناس وانقطعت بسببه المواريث، فضجَّ أهل مصر ومن تحت طاعته مِنْ أخذِه لأَموالهم، فسلط اللَّه عليه السلطان سَليم سُلطان الروم، فإنه غزاه إلى دياره، ووقع بينهما مصاف، فقتل صاحب الترجمة تحت سنابك الخيل، واستولى السلطان سَليم على مملكة مصر والشام، وصارت إلى أولاده من بعده إلى الآن. وكان ذلك في سنة ٩٢٣ ثلاثٍ وعشرين وتسعمائة.

(٣٧٨)

(السلطان قَايتباي الجَرْكَسي المَحْمُودي الأَشْرَفي ثم الظَّاهري ملك الديار المصرية)[١]

ولد تقريباً في بضع وعشرين وثمانمائة وقدم به تاجر يقال له محمود إلى ديار مصر في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة فاشتراه الأشرف بَرْسَباي، ثم ملكه الظاهر جقمق، ثم ترقّى في الخدم حتى صار أمير عشرة ثم أمير طبلخانة ثم صار أتابكاً ثم صار سلطاناً في يوم الاثنين ثالث رجب سة (٨٧٢)، وثبت قدمه في السلطنة وتمكنت هيبته، وصار مقبلاً على أفعال الخير، مقرباً للعلماء والصلحاء محباً للفقراء كثير العدل كثير العبادة، مائلاً إلى العلم كُلِّيةَ الميل، عفيفاً عن شهوات الملوك، حسنةً من حسنات الدهر، لم يكن له نظير في ملوك الجراكسة، ولا فيمن قبلهم من ملوك الأتراك. وحجَّ في أيام سلطنته، وفعل من المحاسن ما لم يفعله غيره، وأحسن إلى الخاص والعام. وله عمارات في كثير من أنواع القربات. وقد طوَّل السخاوي ترجمته في «الضوء اللامع» وذكر كثيراً من محاسنه التي لا يهتدي إليها غيره من الملوك، ولكنه كدّر صفوها، فجعل الترجمة من أولها إلى آخرها سجعاً بارداً جداً، ولم يفعل

(١) ترجمته في: الأعلام: ٥/ ١٨٨.